Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (7), Issue (3) April (2025)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

التجديد في الحديث النبوي الشريف

أ.م.د عاصف دحام سالم الأنصاري كلية الإمام الأعظم الجامعة

Renewal in the Prophetic Hadith

Asst. Prof. Dr. Asif Daham Salim Al-Ansari Imam Al-Adham University College
asif.daham@imamaladham.edu.iq

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى استكشاف مظاهر التجديد في علوم الحديث النبوي الشريف، مؤكدًا على ديناميكية هذا العلم وقابليته للتطور عبر العصور. تناولت الدراسة مجالات متعددة، منها التجديد في طرق عرض متون الحديث (الموضوعي، المسانيد، الترتيب الأبجدي)، واستخدام التكنولوجيا الحديثة مثل الحاسب الآلي لفهرسة الأحاديث. كما ناقش البحث التجديد في مناهج شرح الأحاديث، مع الإشارة إلى جهود علماء الهند في إثراء الشروح والتعليقات. تضمن العمل أيضًا تحليلًا للإعجاز العلمي في السنة النبوية، مثل الإخبار عن مراحل تكوين الجنين وخصائص الكون، والتي توافقت مع الاكتشافات العلمية الحديثة. بالإضافة إلى ذلك، تناول البحث الردود المنهجية على انتقادات المستشرقين، موضحًا أن منهج المحدثين في نقد السند والمتن يتميز بالدقة والموضوعية، مدعومًا بأمثلة تطبيقية. خلصت الدراسة إلى أن علم الحديث يظل علمًا حيويًا يشهد تطورًا مستمرًا، مما يعكس صلاحيته للتكيف مع متطلبات العصر، مع التأكيد على أهمية توثيق جهود التجديد وتحويلها إلى قواعد علمية منهجية.

الكلمات المفتاحية: التجديد في الحديث، الإعجاز العلمي، نقد المتن والسند، المستشرقون، علم علل الحديث.

Abstract:

This research aims to explore manifestations of renewal in the sciences of Prophetic Hadith, emphasizing the dynamic nature and evolutionary adaptability of this discipline across eras. The study addresses multiple domains, including innovations in presenting Hadith texts (thematic, biographical, alphabetical arrangements) and the use of modern technologies such as computers for cataloging Hadiths. It also discusses advancements in exegetical methodologies, highlighting contributions by Indian scholars in enriching commentaries and annotations. The work further analyzes scientific miracles within the Prophetic Sunnah, such as descriptions of embryonic development and cosmic phenomena, which align with modern scientific discoveries. Additionally, the research examines systematic responses to Orientalist critiques, demonstrating that the methodology of Hadith scholars in evaluating chains of transmission (Sanad) and content (Matn) is characterized by precision and objectivity, supported by practical examples. The study concludes that Hadith scholarship remains a vibrant and evolving field, reflecting its capacity to adapt to contemporary demands, while underscoring the importance of documenting renewal efforts and formalizing them into systematic scholarly frameworks.**Keyword** :Renewal in Hadith, Scientific Miracles, Critique of Text and Chain (Matn and Sanad), Orientalists, Science of Hadith Defects (Ilal al-Hadith).

المقدمة:

لسنا بحاجة إلى تكلف عناء البحث لإثبات وجود عملية التجديد في علوم الحديث؛ لأن الحديث نفسه يقرر أن في الدين وعلومه _وليس في الحديث وحده_ تجديدا، فعن أبي هريرة –ﷺ– أَنَّ رسولَ الله –ﷺ– قال: "**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**"(١). و(مَنْ) في الحديث للتبعيض، أي: أن بعض المشتغلين بعلم من العلوم، أو بجانب من جوانب الحياة، كالسياسة والاجتماع والاقتصاد، ينهضون بمهمة تقديم الدين وقيمه بقوالب العصر والبيئة التي هم فيها، فيظل محافظا على نفسه، وإن ظهر بأثواب جديدة.ولما كانت عملية التجديد مسلما بها دينا وعقلا، وبينة جلية، فإنني عنيت بمجالات هذا التجديد في علم محدد من علوم الدين، وهو علم الحديث، فكانت هذه الدراسة، التي حملت

عنوان:**(مجالات التجديد في علوم الحديث النبوي الشريف)**وقد مهدت لها بتمهيد عن مجالات التجديد في العلوم الإسلامية المختلفة: التفسير وعلوم القرآن، والعقيدة والأديان والفرق، والفقه وأصوله، والسيرة، وغيرها.وقد انتظمت في الدراسة أربعة مباحث بحسب علوم الحديث؛ فتناولت في المبحث الأول: صور التجديد في خدمة متون الحديث النبوي الشريف، وهو يضم مطالب ثلاثة:كان المطلب الأول منها: عن صور التجديد في الحديث الموضوعي. وكان المبحث الثاني منها: عن صور التجديد في الحديث التحليلي، فيما كان المبحث الثالث منها: عن الإعجاز في متون الحديث.وعرجت في المبحث الثاني على صور التجديد في علم علل الحديث، وذلك في ثلاثة مطالب أيضا:ناقشت في المطلب الأول منها: التجديد في الأعمال النقدية على كتب السنة، وسلطت في المطلب الثاني منها: الضوء على التجديد في قواعد العلل، وقرائن الترجيح،وتطرقت في المطلب الثالث إلى: خطوات إعلال المرويات من خلال عروض تطبيقية قدمها محدثون معاصرون.أما في المبحث الثالث: فقد عرضت صور التجديد في علم مصطلح الحديث، وهو يشتمل كذلك على مطالب ثلاثة:جاء المطلب الأول: عن التجديد في علم النقد الداخلي للنص (نقد المتن)، وجاء المطلب الثاني: عن التجديد في علم النقد الخارجي للنص (نقد السند)، أما المطلب الثالث: فإنه جاء ليكون عن شهادات النقاد العالميين لنقد الحديث عند المسلمين، وعمليات التحقق من النقول العلمية عندهم قديما وحديثا.وعقدت المبحث الرابع: وهو الأخير، لصور التجديد في علم الجرح والتعديل، وتاريخ الرجال، وهو _أسوة بالمباحث التي سبقته_ يتكون من ثلاثة مطالب:خصصت المطلب الأول للتجديد في علم الجرح والتعديل النظري، وعلم الجرح والتعديل التطبيقي، وتوقفت في المطلب الثاني عند صور التجديد في مباحث العدالة والضبط.وبينت في المطلب الثالث مظاهر التجديد في ميدان اصطلاحات الجرح والتعديل.وخلصت في خاتمة البحث إلى أن علم الحديث النبوي الشريف علم نامٍ، وليس علما جامدا، وذلك دليل حيويته وصلاحيته للبقاء، وأن فروعه المتعددة شهدت تطورا ملموسا في هذا العصر، بخلاف حالة التراجع التي تعيشها الشعوب والدول الإسلامية في السياسة والتكنولوجيا وفي الصعد المختلفة.وقد استفاد البحث من دراسات معاصرة رصدت التجديد في كل فرع من فروع علم الحديث، منها: بحث (التجديد في علم العلل)، قدمه الدكتور محمد أبو صعيليك، كما استفاد البحث من المؤتمرات والندوات، ومنها: ملتقى (نقد المتن الحديثيّ) الذي أقيم بالتعاون بين المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ، وجمعية الدراسات والبحوث الإسلاميّة، وجمعية الحديث الشريف وإحياء التراث، وذلك في قاعة المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، في العاصمة الأردنية، عمان، بتاريخ ١٧ شعبان ١٤٢٥هـ (٢ تشرين أول "أكتوبر" ٢٠٠٤م)وأخيرا فإن الحديث الشريف هو التطبيق النبويّ العمليّ للقرآن الكريم، وقد اعتنى به الصحابة والتابعون وتابعوهم، وحرصوا على فحص ما يُروَى لهم عن النبي –ﷺ– وفق مناهج اعتمدوها لذلك، وقد ورث مَنْ بعدهم عنهم هذه العناية، وفَّقوا فيها، وأضافوا إليها أبواباً جديدة، مِمَّا أوجد تراثاً هائلاً من العلوم الخادمة للسنة، وكان آخرها جهود إبراز مظاهر التجديد وصوره فيها، حيث أن هناك جهوداً بذلت في هذا المجال تستحق الكشف عنها، وتجليتها، والاهتمام، بها، والعمل على تأطيرها على شكل قواعد علمية لا تقل شأناً عما أنجز من قبل، وهذا ما سعينا للاهتمام به من خلال هذه الدراسة، والله الموفق للصواب.وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

المبحث الأول:صور التجديد في خدمة متون الحديث:

المطلب الأول: صور التجديد في طرق عرض متون الحديث:

هناك ثلاث طرق في عرض متون الحديث:**الطريقة الأولى:** الحديث الموضوعي: وهو مصطلح جديد، يطلق على جمع الأحاديث المتعلقة بالموضوع الواحد في مكانٍ واحدٍ من مصادر الحديث[٢].وأغلب كتب الحديث مؤلفةٌ بطريقة الحديث الموضوعي، فأغلبها كتب، وأبواب لهذه الكتب، تدور حول موضوع واحد؛ ومنها الصحيحان وسنن أبي داود وسنن الترمذي، وغير ذلك من كتب الحديث.وفي العصر الحديث كان التجديد في الحديث الموضوعي، عبر البحوث والدراسات التي تصدى كل منها للكتابة في جزئية من الجزئيات، وجمع الأحاديث المتعلقة بها، وقد شهد هذا النوع من الأبحاث طفرة نوعية في العصر الحديث، كَمّاً وَنَوعاً، فما من جامعة أو كلية أو قسم شرعي إلا ولديهما ما لا حصر له من رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه وبحوث الترقية وبحوث التخرج في الحديث الموضوعي.

الطريقة الثانية: المسانيد هي الكتب التي رتبت الأحاديث فيها على اسم الصحابي. والمسانيد كثيرة جداً، يأتي في قمتها (مسند الإمام أحمد بن حنبل) . ومن كتب المسانيد المطبوعة: (مسند أحمد)، و(مسند أبي يعلى)، و(مسند البزار)، و(مسند الحميدي) و(المنتخب من مسند عبْد بن حُميد)، و(مسند أبي داود الطيالسي) والمتبقي من (مسند إسحاق بن راهوية)، والمتبقي من (مسند ابن أبي شيبة)، وغيرها كثير[٣]وقد شهد العصر الحديث نهضة عظيمة في مجال جمع مرويات راو معين، حتى إن طلاب الدراسات ليجدون مشقة في العثور على اسم راو لغرض جمع مروياته، لأن هذا النوع من البحوث لا يحصى لكثرته.

الطريقة الثالثة: الترتيب الأبجدي للأحاديث: هناك كتب ترتب الأحاديث ترتيبًا أبجديًّا، بحسب الحرف الأول، والثاني والثالث للكلمة الأولى من الحديث، مثل كتاب: (الجامع الصغير)، للسيوطي و(الجامع الكبير) له أيضًا، المعروف بـ (جمع الجوامع)، وكتاب (كنوز الحقائق في أحاديث خير الخلائق)، لعبد الرؤوف المناوي، و(الجامع الأزهر في أحاديث النبي الأنور -ﷺ-) له أيضًا[٤]وصور التجديد في كتابة الأحاديث بحسب الترتيب الأبجدي تجسدها المحاولات الرامية إلى كتابة موسوعات حديثية بهذه الطريقة.توظيف الحاسب الآلي (الكمبيوتر) في خدمة متون الحديث: من الجديد في خدمة متون الحديث النبوي الشريف استعمال الحاسب الآلي، الذي يعد فِهرساً يُنتفع به كما يُنتفع بالفهارس على جميع الوجوه السابقة على: اسم الراوي، أو الصحابي، أو لفظة في الحديث، وغيرها[٥].

المطلب الثاني: صور التجديد في الحديث التحليلي:

برع سلفنا الصالح في شرح الحديث النبوي الشريف، ولكن مع ذلك لم يدونوا ما شرحوا وما استنبطوا منها في كتب خاصة حتى جاء القرن الثالث الهجري، وهو عصر ازدهرت فيه حركة التأليف والتدوين بنطاق واسع خاصة في الحديث الشريف، فظهرت مؤلفات في إيضاح وشرح بعض الأحاديث المشكلة أو المختلفة فيها، ومن أهم نتاج العلماء في هذا القرن هو ظهور أُمات الكتب الحديثية الكبرى، وفي مقدمتها الكتب الستة، ثم مست الحاجة إلى تأليف الشروح على أحاديث تلك الكتب لضعف الأفهام وقصور الأنظار وخمول الأذهان[٦]وقد اشتهر كثير من المتقدمين بشروحهم على كتب الحديث ما بين القرن الرابع الهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري ثم جاء القرن الرابع عشر الهجري، ولم يكن هذا القرن وبعده أقلّ حظاً من القرون المتقدمة في العناية بالحديث النبوي وعلومه، مع اضطراب الأوضاع السياسية وضعف الأوساط الاجتماعية في كثير من دول المسلمين. فقد عرف فيهما نوابغ من المشتغلين بالسنة وعلومها والدفاع عنها والتأليف والتصنيف فيهاوكان حظُّ إقليم الهند من هذا الميراث _منذ منتصف القرن العاشر_ هو النشاط في علوم الحديث، فأقبل علماء الهند عليها إقبالاً كُلِّيًّا، بعد أن كانوا منصرفين إلى الفقه المجرَّد، والعلوم النظريَّة، وكم لعلماء الهند من شروح ممتعة، وتعليقات نافعة على الأصول الستة وغيرها! ولهم مؤلَّفات واسعة في أحاديث الأحكام، كما أن لهم دورًا في نقد الرجال، وعلل الأحاديث، وشرح الآثار[٧].

- **مزايا شروح الحديث المعاصرة:**أهم مزايا كتب شروح الحديث المعاصرة: هي استعمال مناهج البحث العلمي الجديدة، ولا سيما الإضافات المتمثلة بالاهتمام بالشكل، ونعني بها شكل البحث، وطريقة عرضه، كالتقسيم والتبويب والمخطط العام للبحث والمخطط التفصيلي، واستعمال علامات الترقيم، ونحوها.ومن مزايا شروح الحديث المعاصرة الرد على الشبهات، ومن أمثلة ذلك كتاب "الحديث والمحدثون" الذي ألفه الشيخ الدكتور محمد محمد أبو زهو، وبحث فيه جهود العلماء لخدمة الحديث، وناقش الشبهات والمزاعم الباطلة[٨].ومن تلك المزايا: التركيز على موضوع البحث، والابتعاد عن الإسهاب، والنقاشات الجانبية، وتنقية الأبحاث الحديثية من مسائل فلسفية ومنطقية لا يقتضيها البحث.ومن أبرز المؤلفات المكتوبة وفق مناهج التأليف الحديثي المعاصر كتاب "المنهج الحديث في علوم الحديث" للأستاذ الدكتور الشيخ محمد محمد السماحي، قصد فيه إلى إعداد موسوعة جامعة في علوم الحديث، يتناول فيها المشاكل الحالية التي ذكرناها فيعالجها ويناقشها، ثم يبحث قواعد علوم الحديث بحثا جامعا موسعا. والكتاب يقع في أقسام عديدة هي:

١- قسم تاريخ الحديث ويتألف من ثلاثة أجزاء.

٢- قسم مصطلح الحديث.

٣- قسم الرواية.

٤- قسم الرواة.وهكذا توالت سلسلة الجهود العلمية متواترة متضافرة لحمل الحديث النبوي وتبليغه علما وعملا، فنا ودراسة وشرحا، منذ عهده -ﷺ- إلى عصرنا الحاضر، يستطيع أي إنسان في أي وقت أن يجد السبيل إلى معرفة الحديث الصحيح وتمييزه عن غير الصحيح، حتى وصل إلينا حديث رسول الله -ﷺ- غضا طريا، صافيا نقيا، وإنه حقا لمكرمة عظيمة أكرم الله بها هذه الأمة، بل هي معجزة تحقق صدق التنزيل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [٩][١٠].

المطلب الثالث: إعجاز السنة النبوية في العلوم التجريبية:

الإعجاز النبوي في العلوم التجريبية يقصد به: ما جاء في الأحاديث النبوية من أحاديث تتضمن آيات ودلائل دالة على صدق الرسول -ﷺ-، في نبوته من جهة ما تضمنته من أخبار غيبية، تتعلق بجوانب العلم التجريبي، كالطب والفلك والرياضيات والفيزياء، من جهة سبق الرسول -ﷺ- إلى الإشارة إليها وتقريرها، مما يعجز الإنسان عن معرفته في ذلك الوقت، بل لم يقف على بعضه إلا الآن، وبعضه الآخر لم يقف عليه أصلاً[١١].

والحق أن إعجاز السنة النبوية في العلوم التجريبية، يراد به ما تضمنته السنة النبوية من الإخبار عن أمور غيبيات، وهي على أنواع :**النوع الأول:** الأحاديث التي تضمنت الإخبار عن حوادث كائنات وعلامات ستكون في المستقبل، فوقعت كما أخبر –ﷺ–أفرد هذا النوع بعض الباحثين، من ذلك كتاب "أحاديث سيد المرسلين عن حوادث القرن العشرين"[١٢]**النوع الثاني:** ما جاء في كلامه –ﷺ– من الإخبار عن أمور كشفت الدراسات الوضعية عن صدق ما أخبر به، وهو ما يعرف باسم الإعجاز العلمي، وتشمل في ما تشمل الإعجاز الطبي كما في كتاب "دلائل النبوة المحمدية في ضوء المعارف الحديثة، مصحوبة بتوجيهات وطرائف هائمة"[١٣]**النوع الثالث:** ما أخبر عنه من المغيبات عند الأمم الماضية **النوع الرابع:** ما جاء في كلامه –ﷺ– عن بعض الأمور فوقع في حياته كما أخبر.فقد أفرد الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتابه "دلائل النبوة " الفصل التاسع والعشرين في ما أخبر به الرسول من الغيوب، فتحقق على ما أخبر به في حياته وبعد موته[١٤].

- **أمثلة من الإعجاز النبوي في العلوم التجريبية:**لقد جاءت السنة النبوية بمجموعة من الأحاديث الشريفة التي تحتوي على كمٍ من الحقائق العلمية التي أثبتها العلم التجريبي الحديث؛ منها على سبيل المثال:

١- أسرار نشأة الكون وتوزانه: روى أبو بردة عن أبيه، قال: **قال رسول الله –ﷺ–: "النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ"**[١٥]في هذا الحديث الشريف حقيقة علمية أثبتها العلم الحديث، ألا وهي ذهاب النجوم وانكدارها وطمسها، ثم انفجارها وزوالها بتحوُّلها إلى دُخان السماء.

٢- حديث خلق الإنسان: من الأحاديث النبوية التي بهرت العلماء غير المسلمين في العصر الحديث، وكانت سببًا في إسلام عدد لا بأس به منهم، قوله –ﷺ**"إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ في ذلك عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ في ذلك مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ..."**[١٦]يوضح الحديث النبوي الشريف أن خلق الإنسان يمرُّ بثلاث مراحل، وهي: النطفة، والعلقة، والمضغة، تكتمل خلال الأربعين يومًا الأولى من بدء عملية الإخصاب، والملاحظات العلمية الدقيقة التي تجمّعت لدى العاملين في حقل علم الأجنة البشرية تؤكد ذلك[١٧].

٣- الإعجاز في علم التشريح: عن عَائِشَةَ _رضي الله عنها_ تَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– قَالَ: **"إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِى آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلاَثِمَائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ وَحَمِدَ اللَّهَ وَهَلَّلَ اللَّهَ وَسَبَّحَ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلاَثِمِائَةِ السُّلاَمَى فَإِنَّهُ يَمْشِى (وَرُبَّمَا قَالَ: يُمْسِى) يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ"**[١٨].
وجهة الإعجاز في هذا الحديث هي مطابقة هذا العدد المذكور في الحديث للعدد الذي قرره علماء التشريح اليوم تماماً.

٤- الاعجاز في الجيولوجيا (علم طبقات الأرض): عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ –ﷺ– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– قَالَ: **"لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا"**[١٩]فهذا الحديث فيه إشارة إلى قضية علمية، وذلك في قوله: "حتى تعودَ أرض العربِ" فقوله: "تعود" يفيد أنها كانت كذلك، وسترجع، وهذه حقيقة أثبتها علماء الجيولوجيا (علم طبقات الأرض) حيث قرروا أن الجزيرة العربية كانت تجري فيها الأنهار، وأنها ستعود كما كانت.

المبحث الثاني:من صور التجديد في علم علل الحديث:

المطلب الأول: التجديد في أصول ومبادئ علم علل الحديث:

في القديم ظهرت عدة مدارس في علم علل الحديث، أما في هذا العصر فقد اتجهت الأنظار عند عموم المحدثين إلى تكوين مدرسة، يمكن أن تسمى (مدرسة المدارس) تأخذ من كل مدرسة خلاصتها، من خلال بحوث موضوعية محايدة، وما أحسنَ ما قَالَ الدكتورُ أحمدُ محمد نور سيف –وفقه الله– : ((بدأنا نَقْربُ من وضع منهجٍ متقاربٍ يُصور لنا مناهج النُّقاد في تلك الحقبة من الزمن، هذه الحقبة هي العصور الذهبية لنُقاد الحديث، مدرسة علي بن المديني، ويحيى بن معين، و أحمد ابن حنبل، والمدرسة التي قبلهم، والمدرسة التي بعدهم، هذه المدارس في الواقع قد تكون مدارس، وقد تكون مدرسة، قد تتقارب المناهج وقد تفترق وقد تختلف، ولكن لا يمكن أنْ نتصور أو أن نستطيع أنْ نُلِمَ بتلك المناهج في إطارٍ عامٍ محددٍ إلاَّ بمثلِ هذه الدراسة.[٢٠] أما أهم أصول ومبادئ علم علل الحديث المعاصر فللشيخ: عبد الرحمن المعلمي –رحمة الله عليه– كلامٌ نفيسٌ فيها، وقد بين كيفية البحث عَنْ أحوال الرواة في كتب الجرح والتعديل في كتابه القيّم "التنكيل" لعلي أذكره باختصار خشية الإطالة، وإنْ كَانَ جديراً بأن يذكر كاملاً بحروفه. قَالَ[٢١](من أحب أن ينظر في كتب الجرح والتعديل للبحث عَنْ حال رجل وقع في سندٍ، فعليه أن يراعي أموراً:**الأوَّل:** إذا وجد ترجمة لمثل ذاك الاسم، فليتثبت حتى يتحقق أن تلك الترجمة هي لذاك الرجل.**الثاني:** ليستوثق من صحة النسخة، وليراجع غيرها إن تيسر له، ليتحقق أنّ ما فيها ثابت عَنْ مؤلف الكتاب.**الثالث:** إذا وجد في الترجمة كلمة جرح أو تعديل، منسوبة إلى بعض الأئمة، فلينظر أثابتةٌ هي عَنْ ذاك الإمام أم لا؟**الرابع:** ليستثبت أن تلك الكلمة قيلت في صاحب الترجمة، فإنّ الأسماء تتشابه.**الخامس:** إذا رأى في

الترجمة "وثقه فلان" أو ضعفه فلان" أو "كذبه فلان"، فليبحث عَنْ عبارة فلان، فقد لا يكون قَالَ "هو ثقة" أو "هو ضعيف" أو " هو كذاب".**السادس:** أصحاب الكتب كثيراً ما يتصرفون في عبارات الأئمة بقصد الاختصار، أو غيره، وربما يخل ذلك بالمعنى.**السابع:** قَالَ ابن حَجَر: "وينبغي أن يتأمل أيضا أقوال المزكين ومخارجها...، فمن ذلك أن الدوري قَالَ عَنْ ابن معين انه سئل عَنْ ابن إسحاق وموسى بن عبيدة الربذي أيهما أحب إليك، فقال: ابن إسحاق ثقة، وسئل عَنْ محمد بن إسحاق بمفرده، فقال: صدوق، وليس بحجة، ومثله أن أبا حاتم، قيل له: أيهما أحب إليك: يونس أو عقيل؟ فقال: عقيل لا بأس به، وهو يريد تفضيله على يونس، وسئل عَنْ عقيل وزمعة ابن صالح فقال: عقيل ثقة متقن، وهذا حكم على اختلاف السؤال، وعلى هذا يحمل أكثر ما ورد من اختلاف كلام أئمة أهل الجرح والتعديل، ممن وثق رجلا في وقت، وجرحه في وقت آخر..."[٢٢]**الثامن:** ينبغي أن يبحث عَنْ معرفة الجارح أو المعدل بمن جرحه أو عدله.**التاسع:** ليبحث عَنْ رأي كل إمام من أئمة الجرح والتعديل، واصطلاحه، مستعيناً على ذلك بتتبع كلامه في الرواة، واختلاف الرواية عنه في بعضهم، مع مقارنة كلامه بكلام غيره.**العاشر:** إذا جاء في الراوي جرح وتعديل، فينبغي البحث (فيما) بين الراوي وجارحه، أو معدله من نفرة أو محبة.قال الدكتور علي بن عبد الله الصياح: "والحق أنّ كلام المعلمي هذا ينبغي أن يقرر على طلاب السنة وعلومها في الدراسات العليا مع شرحٍ وتطبيق، وأرجو أن يتحقق هذا"[٢٣].

المطلب الثاني: علم علل الحديث التطبيقي المعاصر:

يراد بالعلة هنا: وجود عيبٍ او نقصٍ في متن الحديث، او سنده، يقدح في صحته من ارسال بعض الرواة في السند، أو زيادة لفظ في المتن والسند أو انتقاصه، ولا تظهر هذه العلة لِعامّة المخاطبين غير المختصّين.إنّ معرفة العلل الموجودة في الحديث من الاختصاصات الفريدة في علم الحديث وللوقوف عليه: هو جمع الأسانيد والمتون المتماثلة في موضوع خاص، ومن المقارنة بينها وموازنة بعضها ببعضٍ تظهر إرسالات أو زيادة بعض الأسانيد والمتون المنقطعة أو المزيدة فيها، ولِلمثال على ذلك جاء في جامع صحيح مسلم أن النبي –ﷺ– قال: "**لا تكتبوا عنّي؛ ومن كتب عني غير القرآن فليمحه**"[٢٤]. وقد رُوي هذا النص عن طريق إبي سعيد الخدري –ﷺ–إذا قارنا أسناد هذا المتن في جميع طرقه ووازنا بينهما وجدنا التقارير والمرويّات كافّة قد أسندت هذا الكلام الى أبي سعيد الخدريّ _ﷺ_ نفسه وما اتصل سنده إلى النبيّ –ﷺ– وانّما نقل راوٍ واحدٌ هذا الحديث بسند مرفوع (الإسناد إلى المعصوم)، فإنّ المقارنة بين كل المرويّات و قياسها معاً، تحكي لنا خطأ هذا النقل المنفرد، وجدير بالذكر أن جمع الأحاديث المتشابهة، لها فوائد أخرى أيضاً في مبحث فقه الحديث لقد ألّف أهل السنة كتباً كثيرة في علم علل الحديث إلّا أن أكثرهم قد ناقشوا الأسناد وتعرضوا لعلل الأسناد دون المتون.إن العلامة محمد تقي التستري (الشوشتري) (ت، ١٤١٦هـ) قد صنّف أيضاً كتاباً في هذا الموضوع سمّاه «الأخبار الدخيلة».ومن أهم الكتب المعاصرة التي تعرضت لخطوات إعلال المرويات من خلال عروض تطبيقية قدمها محدثون معاصرون، كتاب (المنهجُ العلمي في دراسةِ الحديثِ المُعلّ – دراسةٌ تأصيلية تطبيقية)، تأليف: د. علي بن عبد الله الصياح، الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية – جامعة الملك سعود.وقد راعى في الأمثلة التي اختارها تنوع العلةِ ومكانها، ففي مثال العلةُ من المدار نفسه، وفي مثال العلةُ من الرواة عن المدار، وفي مثال العلةُ في الإسناد، وفي مثال العلةُ في الإسناد والمتن.

المطلب الثالث: المؤلفات المعاصرة في علم علل الحديث:

ألفت كتب كثيرة من قبل العلماء المعاصرين في علم علل الحديث، ومنها:

١– لمحات موجزة في أصول علل الحديث: للدكتور نور الدين عتر (طبع على نفقة المؤلف بدمشق، وهو من توزيع دار القلم بدمشق).

٢– العلل في الحديث: للدكتور همام عبد الرحيم سعيد (طبع في دار العدوي بعمان).

٣– معرفة مدار الإسناد وبيان مكانته في علم علل الحديث: للأستاذ محمد مجير الخطيب (طبع في دار الميمان بالرياض).

٤– علم علل الحديث من خلال كتاب "بيان الوهم والإيهام ... لابن القطان": للأستاذ إبراهيم بن الصديق.

٥– علم علل الحديث ودوره في حفظ السنة النبوية: للدكتور وصي الله بن محمد عباس (طبع في دار الإمام أحمد بن حنبل بالقاهرة),

٦– الميسر في علم علل الحديث: لسيد عبد الماجد الغوري (طبع في دار زمزم بكراتشي في باكستان).

٧– كتاب تعليل العلل لذوي المقل: للشيخ عبد السلام علوش (طبع في مكتبة الرشد بالرياض)[٢٥].

المبحث الثالث: من صور التجديد في علم مصطلح الحديث:

المطلب الأول: من صور التجديد في علم النقد الداخلي للنص (نقد المتن):

متن الحديث هو عبارته ومضمونه، وهو المقصود أصالة من الحديث، ويطلق عليه المعاصرون النقد الداخلي _الذي يعنون به النظر في المتون_ وهو ميزان الصحابة –ﷺ– ومنهجهم الذي استعملوه في فحص الأحاديث، دون الوقوف عند الإسناد، لما عُلم من عدالتهم وصدقهم، وذلك أن السؤال عن الإسناد والإلزام به، بدأ في مرحلة متأخرة، عقب الفتنة التي بدأت بمقتل عثمان–ﷺ– وأما النظر في متن الحديث فقد استعمل قبل ذلك من قِبَل الصحابة –رضي الله عنهم–، من خلال عرض بعض الروايات على ما تقرر عندهم من الأصول والقواعد، ومحكمات الكتاب والسنة، ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك ما ثبت في صحيح مسلم أن عمر –ﷺ– سمع حديث فاطمة بنت قيس، وأن زوجها طلقها ثلاثاً، فلم يجعل لها رسول الله –ﷺ– سكنى ولا نفقة، فقال عمر –ﷺ– لا نترك كتاب الله وسنة نبيه –ﷺ– لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت، لها السكنى والنفقة، قال الله –ﷻ–:﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾[٢٦][٢٧]ومثله ما أخرجه الشيخان: أن عائشة –رضي الله عنها–، سمعت حديث ابن عمر عبد الله، أن رسول الله –ﷺ– قال: "**إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**" فقالت: رحم الله عمر والله ما حدَّث رسول الله –ﷺ– إن الله يعذب المؤمنين ببكاء أحد، ولكن قال: (إن الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه)، وقالت حسبكم القرآن: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [٢٨][٢٩]، وزاد مسلم: "**إِنَّكُمْ لَتُحَدِّثُونِي عَنْ غَيْرِ كَاذِبَيْنِ، وَلا مُكَذَّبَيْنِ وَلَكِنَّ السَّمْعَ يُخْطِئُ**"[٣٠]وليس الغرض من إيراد هذه الأمثلة بيان صواب هذا الاجتهاد أو ذاك، فقد يخالفه غيره من الصحابة في هذا الاجتهاد، وقد يكون هناك وجه للجمع خفي عليه، فقضى برد الحديث، إلى غير ذلك من الأسباب ، ولكن الغرض بيان أن مقياس نقد المتون، وعرضها على المحكمات والأصول الثابتة، قد وجد مبكراً منذ عهد الصحابة –رضي الله عنهم– حتى قبل دراسة الأسانيد وبناء على ذلك نشأت علوم جديدة كلها ناتجة عن مقابلة المتن: المروي مع الأحاديث الأخرى، كالمدرج، والمضطرب، والمقلوب، والمصحف، وزيادات الثقات، كما نشأت علوم أخرى تبحث في المتن من حيث درايته، كغريب الحديث ومختلفه، وأسباب وروده، وناسخه ومنسوخه، ومشكله ومحكمه، وكل ذلك يدخل في إطار نقد المحدثين للمتون واعتنائهم بهاومن الأمور التي استعان بها أئمة هذا الشأن في نقدهم للمتون التاريخ، فقد ضبطوا تواريخ الرواة، وسنين ولادتهم ووفاتهم، ورحلاتهم وأوطانهم، وشيوخهم وتلاميذهم ، وذلك للكشف عن مروياتهم، ومعرفة من أدركوه ممن لم يدركوه، فالراوي الذي يدعي سماع شيخ لم يدركه، أو يذكر أمراً يكذبه، التاريخ يحكم على روايته بالطرح والترك ، ومما يذكر في ذلك ما جرى في زمن الحافظ الخطيب البغدادي حين أظهر بعض اليهود كتاباً بإسقاط النبي –ﷺ– الجزية عن يهود خيبر، وفيه شهادة الصحابة، فعرضه الوزير آنذاك على الخطيب البغدادي، فقال: هذا مزوَّر، فقيل له من أين قلت هذا، قال: فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح بعد خيبر، وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات قبل خيبر بسنتين[٣١]يضاف إلى ما سبق ما وضعه المحدثون من أصول عامة، وقواعد كلية يعرف بها الوضع في الحديث، من غير رجوع إلى سنده، وكلها متعلقة بالمتن، وهي المعروفة عندهم بعلامات الوضع، حيث جعلوا من علامات الوضع في الحديث، مناقضته الصريحة للقرآن الكريم، أو السنة المتواترة، أو الإجماع القطعي، وركاكة لفظه أو معناه، بحيث يشهد الخبير بالعربية استحالة صدور مثل هذا الكلام عن أفصح الفصحاء، وأبلغ البلغاء –ﷺ–، أو اشتماله على مجازفات ومبالغات لا تصدر عن عاقل حكيم، أو أن يتضمن إفراطاً بالوعد العظيم على الأمر الصغير، أو الوعيد الشديد على الأمر الحقير، أو مخالفته للحس والمشاهدة، أو أن يكون خبراً عن أمر جسيم، تتوافر الدواعي على نقله ثم لا ينقله إلا واحد، أو مناقضته للحقائق التاريخية الثابتة، مثل الحديث المتقدم في وضع الجزية عن أهل خيبر، أو أن يكون موافقاً لمذهب الرواي وهو متعصب غالٍ في تعصبه، إلى غير ذلك من العلامات التي يدركها جهابذة هذا العلم ومن لهم خبرة بحديث رسول الله –ﷺ– ومعرفة تامة بسننه وأحواله.يقول الربيع بن خثيم: "إن من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار نعرفه به، وإن من الحديث حديثا له ظلمة الليل نعرفه بها "[٣٢] ويقول ابن الجوزي: "الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم، وينفر منه قلبه في الغالب"[٣٣]، وقال: "ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع"[٣٤]وقد عني المعاصرون من المحدثين بالمتن عناية بالغة، حفزهم على ذلك البعد عن عصر النبوة، وصعوبة تلقي المتلقي الأسانيد الطوال في هذا الزمان، واندراس العلم، وشبهات المستشرقين والمستغربين.

المطلب الثاني: من صور التجديد في علم النقد الخارجي للنص (نقد السند) :

علم دراسة الأسانيد: يبحث عن أحوال رجال الحديث ثقة وضعفا، ومن خلاله يعرف الحكم على الأحاديث، لأنه الطريق الموصل للمتن، والإسناد من الدين، لأن بالحديث تثبت الأحكام الدينية، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.والإسناد من خصائص الأمة الإسلامية، فلا توجد أمة من الأمم لديها إسناد إلا الأمة الإسلامية، وقد اهتم العلماء به وأولوه عناية كبرى على مر العصور والدهور، وإن كان نقل الأحاديث بالإسناد قد توقف في مرحلة من مراحل التدوين والتصنيف، إلا أن البحث عن الحكم على الأسانيد لم يتوقف في أي عصر من العصور، فقد بقيت الأسانيد شاهدة على

اهتمام المسلمين بها، وبقي البحث والتنقيب عن أحوال الرجال إلى الآن، ومن هنا فقد اهتمت الجامعات ومراكز البحوث بتعليم الطلاب كيفية دراسة الأسانيد، فلا بد لطالب العلوم الشرعية والدراسات الإسلامية أن يتحصن بحصن معرفة الصحيح من الضعيف[٣٥].ومن هنا فقد اهتمت المؤسسات العلمية المعاصرة بتعريف الأسانيد، وبيان أهمية دراستها، وتعريف الجرح والتعديل، ومراتبه وألفاظه، وإيضاح بعض قواعد الجرح والتعديل مع تطبيقات عملية على رجال مختارين من كتب الرجال، والتعريف بكبار أئمة الجرح والتعديل، والتعريف بأنواع المؤلفات في تراجم الرجال، وبعض كتب المدلسين، والمختلطين، وكيفية الاستفادة منهاوكان الهدف من ذلك: معرفة القواعد العامة لدراسة الأسانيد، وأشهر مناهج العلماء، والتأهل للحكم على السند المفرد، والتعامل مع البرامج والمواقع المتخصصة في معرفة درجة الحديث.وكذلك معرفة أسباب ضعف الأسانيد، ومراتب الجرح التعديل، وقواعد الترجيح بين أقوال العلماء عند الاختلاف، والتمييز بين مناهج الأئمة في الجرح والتعديل، ووصف منهج أهم الكتب المستعملة في دراسة الأسانيد، والتفرقة بين رجال الأسانيد والترجمة لهم ترجمة صحيحة، والحكم على الإسناد حكما صحيحا.

المطلب الثالث: رد طعون المستشرقين بمنهج النقد عند المحدثين:

بذل المحدثون المعاصرون جهودا مضنية في رد طعون المستشرقين بمنهج النقد عند المحدثين، ولقد اسفرت المناقشة العلمية الموضوعية لمن انتقد المحدثين عن فشلهم في مطاعنهم التي وجهت إلى منهج المحدثين النقدي، بل إنها زادته قوة وثباتاً، في حين كشفت أهداف الطاعنين وزيف بهارجهم المصطنعة، وكشفت اختلال منهجهم العلمي من وجوه كثيرة نلخص منها ههنا:

١- وضع النصوص في غير موضعها، وتحميلها مالا تطيقه ألفاظها ولا يستمد من معانيها.

٢- اعتمادهم على نصوص مفردة متقطعة عما ورد في موضوعها مما يوضح المراد منها ويبينه، وذلك كثير في أبحاثهم، ومنه استدلال تسيهر[٣٦]، على أن تصنيف الحديث تأخر إلى القرن الثالث بما ورد عن الإمام أحمد أنه قال في سعيد بن أبي عَرُوبَة (ت، ١٥٦هـ): ((هو أول من صنف الأبواب بالبصرة... لم يكن له كتاب إنما كان يحفظ فاستدل، بقوله: لم يكن له كتاب على أنه لم يؤلف كتاباً))، مع أن المحدثين يستعملون هذا في الدلالة على أن المحدث حافظ متين الحفظ لا يعتمد على الكتاب في روايته للحديث، وهذا لا يدل على أن المحدث لم يصنف كتاباً من محفوظاته، وهو يصرح في أول كلمته بأنه صنف، والشواهد على ذلك كثيرة في ترجمة سعيد من كتب الرجال.

٣- إنهم يعولون على مصادر ليست في مستوى البحث العلمي، مثل كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصبهاني، وهو ليس كتاباً علمياً، ولا كتاب حديث، إنما يعتمد عليه في الأدب والفكاهات، ثم هو صاحب بدعة تحمله على الطعن في أئمة الإسلام، ومع ذلك فلم يبال ناقد منهج المحدثين، أن يستشهد به في الحط من قدر إمام جليل، كالإمام مالك بن أنس –رحمه الله–.

٤- إنهم يوردون مقدمات جزئية ضعيفة، ثم يبنون عليها نتائج ضخمة فضفاضة لا تناسب تلك المقدمات ولا تنتج منهاونتخذ هنا حديث الهروي المختلق في ذم الشافعي، ومدح أبي حنيفة، مثالاً لذلكهذا الحديث زعم الناقد أنه درج في الناس وغفل المحدثون عنه، بينما هو أشهر في بيان وضعه من نار على عَلم. ولو فرضنا أن باحثاً وجد حديثاً ضعيفاً، جاز على بعض المحدثين، فهل يدل ذلك على فضل منهج النقد من أساسه؟ كلا! فإن القانون كثيراً ما يكون سليماً، ثم تأتي الآفة من تصرف بعض العاملين به، أو من ذهوله.فهذا لو تحقق إنما يكون سهواً من المحدث الذي جاز عليه الحديث، وأي علم في الدنيا لم يتعرض عالم من علمائه للنقد في بعض بحثه، ثم لم يكن ذلك مسقطاً لذلك العلم ولا لذلك العالم، إلا إذا كثر منه ذلك، تكون أخطاؤه محسوبة عليه، تضعف الثقة به، ويبقى بنيان العلم شامخاً.

٥- إغفال الحقائق التي تخالف استنتاجاتهم وتبطلها، ومن ذلك أن جولد تسيهر حكم بالوضع على الرواية الصحيحة: " أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ابن حزم أن يدون حديث رسول الله –ﷺ– ".قال تسيهر: ((إن هذا الخبر بعينه فيه نظر، فلم يرو عن مالك إلا في رواية واحدة من روايات الموطأ، هي رواية الشيباني، وقد تلقف هذا الخبر الواحد علماء الحديث المتأخرون فكان منطلقاً لهم، ورَوَّجوا له، وهذا الخبر ليس إلا تعبيراً عن الرأي الحسن السائد حول الخليفة الورع وحبه للسنة))[٣٧]قال الأستاذ فواد سيزكين يتعقب ذلك[٣٨]: ((ولكن لا يجوز لنا أن نبادر فنزعم أن هذا الخبر الذي ورد في الموطأ برواية الشيباني تلميذ مالك لا يعكس إلا حسن رأي المتأخرين [في عمر]، فليست كل روايات الموطأ بين أيدينا، فنحكم بعدم ورود هذا الخبر إلا في رواية واحدة، وفوق هذا فجولد تسيهر يعلم أن هذا الخبر وارد كذلك في سنن الدرامي، هذا وقد ذكره كل من ابن سعد والبخاري!!))على أنه لو سلم لتسيهر دعواه أن التفرد بالشيء يبطله، فإنه يؤدي إلى بطلان أمور كثيرة أتى بها في كتبه وأبحاثه، هي لباب مقاصده فيها، فهل يقبل أن ينسحب حكمه هذا عليه؟!.

٦- يقول الأستاذ فؤاد سيزكين: "هذا ونرى لزاماً علينا أن ننبه إلى أن جولد تسيهر لم يدرس كتب علم أصول الحديث دراسة شاملة، رغم أنه عرف قسماً منها كان ما يزال مخطوطاً في ذلك الوقت، وفوق هذا فيبدو لنا أنه لم ينظر رغم كثرة مصادره إلى بعض المعلومات في سياقها وفي

ضوء ظروفها، ويبدو لنا كذلك أنه لم يصب في فهم المواضع التي قد تعطي لأول وهلة، دلالة تختلف عن معناه الحقيقي اختلافاً أساسياً"[٣٩].ويقول سيزكين أيضاً: "أن جولد تسيهر على تضلعه في اللغة العربية قد أساء فهم بعض المعلومات الواردة في كتب الحديث وضرب بهذا منذ البداية في اتجاه خاطىء"[٤٠] ونحن لا نتعرض لواقع الخطأ في فهم النصوص أو في الأخذ المقتطع للنص عما يكمله أو النقل المحرف، ولا نود الخوض في اسباب ذلك ودوافعه، لكن نجد أنه لزام علينا إزاء ذلك أن نصرح بأن هذا الواقع يجعلنا عاجزين عجزاً تاماً كاملاً عن الاعتماد على شيء من نظريات المستشرقين وأبحاثهم هم وأتباعهم الذين يعتمدون عليهم.

المبحث الرابع: من صور التجديد في علم الجرح والتعديل:

المطلب الأول: من صور التجديد في علم الجرح والتعديل النظري والتطبيقي:

من الأمور المعلومة بداهة أنه لا سبيل إلى معرفة ما جاء عن النبي –ﷺ– من أحاديث وأخبار إلا عن طريق الرواة والنقلة، الذين نقلوا أخباره جيلاً بعد جيل وطبقة بعد طبقة، حتى دونت السنة في الكتب المعتمدة المعروفة؛ ولذلك كان الاطلاع على أحوال هؤلاء الرواة والنقلة، وتتبع مسالكهم، وإدراك مقاصدهم وأغراضهم ، ومعرفة مراتبهم وطبقاتهم، وتمييز ثقاتهم من ضعافهم، هو الوسيلة الأهم لمعرفة صحيح الأخبار من سقيمها، مما نتج عنه نشوء علم عظيم وضعت له القواعد، وأسست له الأسس والضوابط، فكان مقياساً دقيقاً ضبطت به أحوال الرواة، من حيث التوثيق والتضعيف، ذلك هو "علم الجرح والتعديل" الذي لا نظير له عند أمة من الأمم، حتى عُدَّ هذا العلم نصف علم الحديث.والذي يطالع كتب الرجال، والتراجم، والجرح والتعديل، يقف مبهوراً أمام هذا العلم الذي لا يمكن أن يكون وضع صدفة أو تشهياً، بل بذلت فيه جهود، وفنيت فيه أعمار حتى بلغ قمة الحسن ومنتهى الجودة[٤١]وتتمثل جهود المحدثين في هذا العصر بدراسة كتب رجال الحديث القديمة، عبر دراسة مناهجها، والمادة العلمية، وتحكيمها في أحاديث العقيدة والشريعة والآداب، وفي كل مجالات العلم، والجامعات ومراكز البحوث مليئة بدراسات علمية، حققت وقارنت وجمعت المنثور، وتلك هي وظيفتها بعد أن نضج هذا العلم في عصوره الأولى.

المطلب الثاني: علم الرجال عند الشيعة:

أخذ الشيعة عن أهل السنة علم الجرح والتعديل، وأحوال الرجال بعد ظهوره بقرون طويلة، يقول الحائري: ومن المعلومات التي لا يشك فيها أحد أنه لم يصنف في دراية الحديث من علمائنا قبل الشهيد الثاني، وإنما هو من علوم العامة[٤٢]يقول الحر العاملي في هذا: الاصطلاح الجديد موافق لاعتقاد العامة واصطلاحهم، بل هو مأخوذ من كتبهم[٤٣]وبينما فرغ أهل السنة من علم رواة الحديث منذ القرون الأولى، نجد المؤلفات في علم الرجال عند الشيعة تمتد إلى عصرنا الراهن، ومن ذلك مؤلفات أبي القاسم الخوئي، وهي خطوة طيبة، وإن جاءت متأخرة، نتمنى أن تسهم في غربلة التراث الروائي الشيعي، وتنحية ما علق به، وهي مهمة يجب على محدثي الشيعة القيام بها بإخلاص ومهارة.

المطلب الثالث: رد الشبهات حول منهج المحدثين في الجرح والتعديل:

لأهمية علم الجرح والتعديل، وأثره في ضبط السنة وحفظها، وسدِّ الأبواب أمام المتلاعبين، جاء الطعن فيه من قبل المستشرقين والمستغربين على حد سواء، ولم يجدوا سوى الاختلاف المذهبي عكازا.

١- قال المستشرق جوينبل: "والحكم على قيمة المحدث قد يختلف اختلافاً بيناً، فربما كان ثقة عند قوم، ولكن عند غيرهم كانوا يعدونه في منتهى الضعف، وربما اعتبروه كاذباً في روايته".

٢- قال أحمد أمين: "إن أحكام الناس على الرجال تختلف كل الاختلاف، فبعض يوثق رجلاً، وآخر يكذبه، والبواعث النفسية على ذلك لا حصر لها، ثم كان المحدثون أنفسهم يختلفون في قواعد التجريح والتعديل، فبعضهم يرفض حديث المبتدع مطلقاً، كالخارجي والمعتزلي، وبعضهم يقبل روايته في الأحاديث التي لا تتصل ببدعته"[٤٤] .

٣- قال كمال أبو رية: " إن علماء الجرح قد اختلفوا في الجرح والتعديل باختلاف مذاهبهم وأحوالهم "والواقع أن الادعاء أن الاختلاف المذهبي والطائفي، كان له تأثير على الحكم على الرواة وتجريحهم ادعاء باطل؛ لأن المحدثين لم يكونوا يجرحون مخالفيهم من الطوائف الدينية الإسلامية، إلا إذا كانت لديهم تصورات تؤدي إلى كفر، أو أن يكون داعية إلى بدعته _على حد تعبير الأولين_؛ لأن الداعية قد يحمله تزيين بدعته على تحريف الروايات وتسويتها على ما يقتضيه مذهبه، أو لم يكن داعية، ولكن حديثه موافق لما يدعو إليه، ويرون في ذلك كله ما يشكك في صدقه وأمانته، فالخلاف في التجريح بين المحدثين وغيرهم راجع في الحقيقة إلى الشك بصدق الراوي وعدالته، وضبطه لما يرويه، وليس إلى مجرد الخلاف المذهبي الطائفي، وهي قاعدة ثابتة عند المحدثين ولذلك وجدنا أصحاب الكتب الستة وفي مقدمتهم الشيخان، يحتجون بأحاديث جماعة

من محدثي الفرق الإسلامية الثقات في كتبهم، ما داموا مستوفين لشروط الرواية، فقد حدَّث البخاري عن عباد بن يعقوب الرواجني، الذي كان يقول فيه ابن خزيمة: حدثنا الصدوق في روايته، المتهم في دينه عباد بن يعقوب، واحتج بمحمد ابن زياد الألهاني، وحريز بن عثمان الرحبي، وهما ممن اشتهر عنهما النصب، وعمران بن حطان الخارجي، وأبان بن تغلب، الذي قال فيه الذهبي: "شيعي جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه، وعليه بدعته"(٤٥). وذلك لعمر الله قمة العدل والإنصاف.فعلم مما سبق أن المحدثين لم ينطلقوا في توثيقهم وتجريحهم، وتصحيحهم وتضعيفهم من الأهواء والأمزجة، وإنما انطلقوا من قواعد متينة وأرض صلبة، فاشترطوا في الجارح شروطاً عالية، ومؤهلات دقيقة، وجعلوا لذلك آداباً وأحكاماً، وجوزوه بقدر الحاجة ، ولم يقبلوا منه إلا ما كان موافقاً للأصول والقواعد، فجاءت أحكامهم في منتهى الدقة والنزاهة.

الخاتمة:

خلصت في خاتمة بحثي هذا إلى:

١. أن علم الحديث النبوي الشريف علم نامٍ، وليس علما جامدا، وذلك دليل حيويته وصلاحيته للبقاء، وأن فروعه المتعددة شهدت تطورا ملموسا في هذا العصر، بخلاف حالة التراجع التي تعيشها الشعوب والدول الإسلامية في السياسة والتكنولوجيا وفي الصعد المختلفة.

٢. إبراز مظاهر التجديد وصوره في علم الحديث النبوي الشريف، حيث أن هناك جهوداً بذلت في هذا المجال تستحق الكشف عنها، وتجليتها، والاهتمام، بها، والعمل على تأطيرها على شكل قواعد علمية لا تقل شأناً عما أنجز من قبل، وهذا ما سعينا للاهتمام به من خلال هذه الدراسة، والله الموفق للصواب.

٣. شهد التجديد في الحديث الموضوعي طفرة نوعية في العصر الحديث، كما ونوعا، فما من جامعة أو كلية أو قسم شرعي إلا ولديها ما لا حصر له من رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه وبحوث الترقية وبحوث التخرج في الحديث الموضوعي.

٤. شهد العصر الحديث نهضة عظيمة في مجال جمع مرويات راو معين، لأن هذا النوع من البحوث لا يحصى لكثرته.

٥. صور التجديد في كتابة الأحاديث بحسب الترتيب الأبجدي تجسدها المحاولات الرامية إلى كتابة موسوعات حديثية بهذه الطريقة.

٦. من الجديد في خدمة الحديث النبوي الشريف استعمال الحاسب الآلي، الذي يعد فِهرساً يُنتفع به، كما يُنتفع بالفهارس على جميع الوجوه السابقة على: اسم الراوي، أو الصحابي، أو لفظة في الحديث، وغيرها.

٧. كم كان لعلماء الهند من شروح ممتعة، وتعليقات نافعة على الأصول الستة وغيرها! ولهم مؤلَّفات واسعة في أحاديث الأحكام، كما أن لهم دورًا في نقد الرجال، وعلل الأحاديث، وشرح الآثار.

٨. أن إعجاز السنة النبوية في العلوم التجريبية، يراد به ما تضمنته السنة النبوية من الإخبار عن أمور غيبيات؛ منها على سبيل المثال: أسرار نشأة الكون وتوزانه، حديث خلق الإنسان، الإعجاز في علم التشريح، الاعجاز في الجيولوجيا (علم طبقات الأرض).

٩. اتجهت الأنظار عند عموم المحدثين في هذا العصر إلى تكوين مدرسة، يمكن أن تسمى (مدرسة المدارس) تأخذ من كل مدرسة خلاصتها، من خلال بحوث موضوعية محايدة.

١٠.إنّ معرفة العلل الموجودة في الحديث من الاختصاصات الفريدة في علم الحديث، وللوقوف عليه: هو جمع الأسانيد والمتون المتماثلة في موضوع خاص، ومن المقارنة بينها، وموازنة بعضها ببعضٍ تظهر إرسالات أو زيادة بعض الأسانيد والمتون المنقطعة أو المزيدة فيها.

١١.أن مقياس نقد المتون وعرضها على المحكمات والأصول الثابتة قد وجد مبكراً منذ عهد الصحابة حتى قبل دراسة الأسانيد .

١٢. عني المعاصرون من المحدثين بالمتن عناية بالغة، حفزهم على ذلك البعد عن عصر النبوة، وصعوبة تلقي المتلقي الأسانيد الطوال في هذا الزمان، واندراس العلم، وشبهات المستشرقين والمستغربين.

١٣.عدم التعرض لواقع الخطأ في فهم النصوص أو في الأخذ المقتطع للنص عما يكمله أو النقل المحرف، ولا الخوض في اسباب ذلك ودوافعه، لكن نجد أنه لزام علينا إزاء ذلك أن نصرح بأن هذا الواقع يجعلنا عاجزين عجزاً تاماً كاملاً عن الاعتماد على شيء من نظريات المستشرقين وأبحاثهم هم وأتباعهم الذين يعتمدون عليهم.

١٤.تتمثل جهود المحدثين في هذا العصر بدراسة كتب رجال الحديث القديمة، عبر دراسة مناهجها، والمادة العلمية، وتحكيمها في أحاديث العقيدة والشريعة والآداب، وفي كل مجالات العلم، والجامعات ومراكز البحوث مليئة بدراسات علمية حققت وقارنت وجمعت المنثور، وتلك هي وظيفتها بعد أن نضج هذا العلم في عصوره الأولى.

١٥.أخذ الشيعة عن أهل السنة علم الجرح والتعديل وأحوال الرجال من بعد ظهوره بقرون طويلة.

١٦. أن المحدثين لم ينطلقوا في توثيقهم وتجريحهم، وتصحيحهم وتضعيفهم من الأهواء والأمزجة، وإنما انطلقوا من قواعد متينة وأرض صلبة، فاشترطوا في الجارح شروطاً عالية، ومؤهلات دقيقة، وجعلوا لذلك آداباً وأحكاماً، وجوزوه بقدر الحاجة، ولم يقبلوا منه إلا ما كان موافقاً للأصول والقواعد، فجاءت أحكامهم في منتهى الدقة والنزاهة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١- الاعجاز العلمي في السنة النبوية- تعريفه وقواعده: محمد عمر بازمول .https://uqu.edu.sa/files2/tiny_mce/plugins/filemanager/files/4052784/filesave1/eagazalhadeth.pdf

٢- الإعجاز العلمي في السنة النبوية، زغلول النجار.

٣- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م.

٤- تاريخ التراث العربي.

٥- التخريج ودراسة الأسانيد: حاتم بن عارف بن ناصر الشريف.

٦- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل: عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العتمي اليماني (ت: ١٣٨٦هـ)، تعليقات: محمد ناصر الدين الألباني _زهير الشاويش_ عبد الرزاق حمزة، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٧- جهود العلماء المسلمين في شرح كتب الحديث بين القرن الرابع عشر الهجري حتى أوائل القرن الخامس عشر الهجري: محمد حافظ بن سوروني الماليزي: أرشيف ملتقى أهل الحديث.

٨- جولد تسيهر. GOLDZIHEL , MUP, STUD. 11, 211 .

٩- الحديث الموضوعي – جامعة المدينة.

١٠- دراسة الأسانيد: د. محمد سيد أحمد شحاته، الأستاذ المشارك بجامعة الأزهر، وحالياً بجامعة المجمعة كلية التربية بالزلفي، قسم الدراسات الإسلامية، مقدمة الكتاب.

١١- دلائل النبوة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس- بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٢- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.

١٣- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ط١، ١٤٢٢هـ.

١٥- صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، ٣٠٤٤/٤،

١٦- ضحى الإسلام: أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية- مصر، ١٩٣٥.

١٧- لسان الميزان: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي- بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ- ١٩٧١م.

١٨- لعبد العزيز عز الدين السيروان، منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ.

١٩- لمحمود مهدي استنبولي، طبع مكتبة المعلا، الكويت، ط١، ١٤٠٧.

٢٠- مختصر الكامل في الضعفاء: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت: ٨٤٥هـ)، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، مكتبة السنة – القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٢١- مصادر الحديث ومراجعه- دراسة وتعريف-: لشيخ سيد عبد الماجد الغوري، طبع دار ابن كثير- دمشق، ٢٠١٩م.

٢٢- معرفة علوم الحديث: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ابن نُعيم ابن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

٢٣- مقالات الكوثري: محمد زاهد الكوثري (ت: ١٣٧١هـ)، مطبعة الأنوار- القاهرة.

٢٤- مقتبس الأثر: حسين بن سليمان الأعلمي الحائري، مطبعة حكمة- قم، ١٣٧٧هـ.

٢٥- مقدمة كتاب الإمام علي بن المديني ومنهجه في نقد الرجال.

٢٦- المنهجُ العلمي في دراسةِ الحديثِ المُعلّ- دراسةٌ تأصيلية تطبيقية: د. علي بن عبد الله الصياح، الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية- جامعة الملك سعود.

٢٧- منهج النقد في علوم الحديث: نور الدين محمد عتر الحلبي، دار الفكر- دمشق، ط٣، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

٢٨- الموضوعات: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية- المدينة المنورة، ط١، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

٢٩- وسائل الشيعة: محمد بن الحسن الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت -عليهم السلام- لإحياء التراث- قم.

هوامش البحث

[١]- سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، ٤/ ١٠٩، (٤٢٩١). وقال الشيخ شعَيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

[٢]- الحديث الموضوعي، ص: ٩.

[٣]- التخريج ودراسة الأسانيد، ص: ١٨.

[٤]- الحديث الموضوعي، ص: ١٠.

[٥]- التخريج ودراسة الأسانيد، ص: ٤٩.

[٦]- جهود العلماء المسلمين في شرح كتب الحديث بين القرن الرابع عشر الهجري حتى أوائل القرن الخامس عشر الهجري، ٣١٧.

[٧]- مقالات الكوثري، ص٧٣.

[٨]- منهج النقد في علوم الحديث، ص: ٧١.

[٩]- منهج النقد في علوم الحديث، ص: ٧٢.

[١٠]- الحجر: ٩.

[١١]- الاعجاز العلمي في السنة النبوية ص ٢٢: https://uqu.edu.sa/files2/tiny_mce/plugins/filemanager/files/4052784/filesave1/eagazalhadeth.pdf.

[١٢]- أحاديث سيد المرسلين عن حوادث القرن العشرين: لعبد العزيز عز الدين السيروان، منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ.

[١٣]- دلائل النبوة المحمدية في ضوء المعارف الحديثة، مصحوبة بتوجيهات وطرائف هائمة: لمحمود مهدي استنبولي، طبع مكتبة المعلا، الكويت، ط١، ١٤٠٧.

[١٤]- دلائل النبوة، ص٤٨٨-٤٦٩.

[١٥]- صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة، ٤/ ١٩٦١، (٢٥٣١).

[١٦]- صحيح مسلم: كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ٤/ ٢٠٣٦، (٢٦٤٥)، وقد علق الدكتور محمد فياض على فهم بعض علماء المسلمين الخاطئ للحديث في كتابه إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص١٣٤.

[١٧]- الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ص٢١٦-٢٢٢.

[١٨]- صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب بيان أن سام الصدقة يقع على اسم كل شيء من المعروف، ٢/ ٦٩٨، (١٠٠٧).

[١٩]- صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يأخذها، ٢/ ٧٠١، (١٥٧).

[٢٠]- مقدمة كتاب الإمام علي بن المديني ومنهجه في نقد الرجال، ص ٧.

[٢١]- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل: ١/ ٢٥٠.

[٢٢]- لسان الميزان، ١/١٧.

[٢٣]- المنهجُ العلمي في دراسةِ الحديثِ المُعلّ- دراسةٌ تأصيلية تطبيقية، ص ١٨.

[٢٤]– صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، ٣٠٤٤/٤، (٢٢٧٢).

[٢٥]– مصادر الحديث ومراجعه– دراسة وتعريف– (٣٤٤/٢،٣٤٣).

[٢٦]– مصادر الحديث ومراجعه– دراسة وتعريف– (٣٤٤/٢،٣٤٣).

[٢٧]– الطلاق:١.

[٢٨]– صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، ٢/ ٧٩، (١٢٨٦)؛ صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، ٢/ ٦٣٨، (٩٢٧).

[٢٩]– سورة فاطر: ١٨.

[٣٠]– صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، ٢/ ٦٤١، (٩٢٩).

[٣١]– سير أعلام النبلاء، ١٨/ ٢٨٠.

[٣٢]– مختصر الكامل في الضعفاء، ص ٥٩.

[٣٣]– الموضوعات لابن الجوزي، ١/ ١٠٣.

[٣٤]– الموضوعات لابن الجوزي، ١/ ١٠٦.

[٣٥]– دراسة الأسانيد: د. محمد سيد أحمد شحاته، الأستاذ المشارك بجامعة الأزهر، وحالياً بجامعة المجمعة كلية التربية بالزلفي، قسم الدراسات الإسلامية، مقدمة الكتاب.

[٣٦]– كولد صهر مستشرق مجري موسويّ يلفظ اسمه بالألمانية اجناتس جولد تسيهر. تعلم في بودابست وبرلين وليبسيك، ورحل إلى سورية سنة ١٨٧٣ م، فتعرف بالشيخ طاهر الجزائري وصحبه مدة، وانتقل إلى فلسطين، فمصر، حيث لازم بعض علماء الأزهر، وعين أستاذا في جامعة بودابست (عاصمة المجر) وتوفي بها. له تصانيف باللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية، في الإسلام والفقه الإسلامي والأدب العربيّ، ترجم بعضها إلى العربية. (ت: ١٢٦٦ – ١٣٤٠هـ= ١٨٥٠– ١٩٢١ م). الأعلام، ١/ ٨٤.

[٣٧]– جولد تسيهر. GOLDZIHEL , MUP, STUD. 11, 211 .

[٣٨]– كتاب تاريخ التراث العربي، ١، ٢٢٦.

[٣٩]– المرجع السابق: ٢٢٥.

[٤٠]– المرجع السابق: ٢٢٥.

[٤١]– معرفة علوم الحديث، ص: ٥٢.

[٤٢]– الشهيد الثاني هو: الحسن بن زين الدين الجبعي العاملي (ت: ٩٦٥هـ) . والمقصود بـ (العامة) : أهل السنة والجماعة. مقتبس الأثر، ٣ / ٧٣ .

[٤٣]– وسائل الشيعة، ٢٠ /١٠٠.

[٤٤]– ضحى الإسلام، ٤٧٢.

[٤٥]– سير أعلام النبلاء، المقدمة، ص ٥٩.